



لا يزال الذين حضروا مؤتمر القمة العربية بمدينة سرت الليبية، في ربيع عام 2010م، يذكرون الجدال الذي اندلع بين الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية من جهة، والدكتور عمرو موسى أمين عام الجامعة العربية آنذاك.

وكان موضوع النقاش ما كانت الأمانة العامة للجامعة قد اقترحته على القمة من «حوار استراتيجي» بين دول الجامعة ودول الجوار الأفريقي والإسلامي. وما كان للفيصل اعتراض في المبدأ على الحوار مع الأفارقة، وإن رأى ضرورة الاستعداد لذلك بشكل أفضل. لكنه كان شديد المعارضة للدخول في حوار يسمى استراتيجياً مع دول الجوار الآسيوي الإسلامي؛ وبخاصة إيران. ذلك أن أكثر المواضيع المطروحة للحوار هي في الحقيقة ملفات نزاعات نتيجة التدخلات الإيرانية. في المشرق العربي والخليج. وهكذا فإن الظروف غير مهيأة للحديث في مسائل التعاون سواء أكان استراتيجياً أو تكتيكياً.

ثم تجاوز الفيصل هذا الأمر إلى توصيف عام للحالة العامة في العالم العربي: إنها حالة خواء استراتيجي! فعلى مدى أكثر من عقد من الزمان كان العالم العربي مسرحاً للتدخلات الإقليمية والدولية، وسياسات المحاور، بحيث شاع الاضطراب، وصارت القضايا الكبرى بأيدي الغير، وساد الاستقطاب، وتفاقم العجز العربي عن التصدي للمشكلات فضلاً عن حلها.

لقد كان المطلوب لتقافز وقائع آثار التدخلات والاستقطابات التي أنتجت هذا «الخواء الاستراتيجي» **أمررين اثنين**: استعادة حرية القرار العربي ووحدته، واستعادة الملفات والقضايا الكبرى التي حمل المتذلون راياتها زوراً وعدواناً. ووسط الأوضاع التي كانت سائدة ما كان الأمران ممكنين. فلنلاحظ أن الأمير الفيصل استخدم مصطلح «الخواء» وليس الفراغ مثلاً. فالفراغ قد يعني الانكفاء وانتهاء سياسات أخرى؛ بينما يضيف مصطلح «الخواء» اعتبارين آخرين هما التبعية والعجز. فالتدخلان الأميركي والإيراني العسكري والأمني حملاؤ رفعوا راية أمررين اثنين: حمل التدخل الأميركي راية مكافحة الإرهاب ونشر الديمقراطية، وحمل التدخل الإيراني راية الدفاع عن القضية الفلسطينية. والطريف ذو الدلالة أن هذين الطرفين المتصارعين علناً تشاركاً في غزو أفغانستان والعراق. وظلا على تشاور وتحاول واقتسام لمناطق النفوذ في المشرق بين عامي 2002م و2007م. وخلال تلك الفترة الحافلة بالاضطرابات والحروب وزعزعة الاستقرار والاحتلالات، قال الإيرانيون وحلفاؤهم في سوريا وحزب الله ببنان، وحماس والجهاد الإسلامي بغزة، إنهم إنما يكافحون المشروع الأميركي

للسُّرْقَ الأَوْسَطِ الْكَبِيرِ. بَيْنَمَا كَانُوا هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ صَنَعِهَا ذَاكُ الْمُشْرُوْعُ. فَالْتَّدْخُلُ الإِيْرَانِيُّ أَدَى بِالْطَّبَعِ إِلَى تَدْخُلِ إِسْرَائِيلِيٍّ وَآخِرِ تُرْكِيٍّ، وَكُلِّ لَصُونِ الْمَصَالِحِ، أَوِ التَّشَارِكِ فِي مَنَاطِقِ النَّفْوذِ، بِحِيثُ حَصَلَ هَذَا الْخَوَاءُ فِي الْمَشْرُقِ الْعَرَبِيِّ، الَّذِي أَغْيَتْ هُوَيْتَهُ، بِشَرْذَمِ الْعَرَاقِ، وَاستِبَاعِ النَّظَامِ السُّورِيِّ، وَتَقْسِيمِ الْحَرْكَةِ الْوَطَنِيَّةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ، وَمَحاصرَةِ مَصْرَ مِنْ غَزَّةَ، وَمَحاوَلَاتِ إِحْاطَةِ الْخَلْجِ الْعَرَبِيِّ بِاِضْطَرَابَاتِ أَوِ أَنْظَمَةِ مَعَادِيَّةِ.

لَقَدْ شَكَلَ النَّظَامُ السُّورِيُّ قَطْبَ الدَّائِرَةِ فِي الْمَحْورِ الْاسْتَرَاتِيجِيِّ الإِيْرَانِيِّ. فَهُوَ لَمْ يَكُنْ حَلْقَةً فَقَطْ فِي مَنَاطِقِ النَّفْوذِ الإِيْرَانِيِّ الْجَدِيدَةِ شَرْقِ الْفَرَاتِ وَغَرْبِهِ؛ بَلْ صَارَ مَنْتَلِقاً لِزَعْزَعَةِ اسْتِقْرَارِ لِبَنَانَ، وَشَرْذَمِ الْحَرْكَةِ الْوَطَنِيَّةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ، وَبِيَئَةِ لِمَارْسَةِ الإِرْهَابِ ضَدِّ الْعَرَبِ الْأَخْرَيِّينَ بِحَجْجٍ لَا تَخْفِي عَلَى الْأَطْفَالِ، مُثْلِّ الْمُمَانَعَةِ وَالْمَقَوْمَةِ، بَيْنَمَا لَا يَزَالُ الْجُولَانُ الْعَرَبِيُّ السُّورِيُّ مَحْتَلًا مِنْذِ عَامِ 1967م!

لَقَدْ نَهَضَ الْمَلِكُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزَ، وَنَهَضَتِ السِّيَاسَةُ الْخَارِجِيَّةُ السُّورِيَّةُ مِنْذَ مَا قَبْلَ مَؤْتَمِرِ الْقَمَةِ بِسَرْتِ بِزْمَنِ بِمَهْمَةِ اسْتِعَاْدَةِ وَحدَّةِ الْحَرْكَةِ الْوَطَنِيَّةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الدُّفَعِ بِاتِّجَاهِ الْمَصَالِحةِ بَيْنَ فَتْحِ وَحْمَاسَ، بَلْ وَالْتَّجْرِيَّةِ مَعِ النَّظَامِ السُّورِيِّ لِلْمَرَةِ الْخَامِسَةِ أَوِ السَّادِسَةِ مِنْذَ تَوْلِي بَشَارَ الْأَسَدَ وَارْثَةً لِلْسُّلْطَةِ عَامِ 2000م تَحْتَ عَنْوَانِ الْمَصَالِحةِ الْعَرَبِيَّةِ الشَّامِلَةِ. وَكَمَا حَاوَلَتِ السُّورِيَّةُ مَعِ الْفَلَسْطِينِيَّيِّينَ وَمَعِ السُّورِيَّيِّينَ، حَاوَلَتِ أَيْضًا مَعِ الْلَّبَانَيِّيِّينَ بَعْدَ اغْتِيَالِ الرَّئِيسِ رَفِيقِ الْحَرِيرِيِّ وَخُروِجِ الْقَوَافِلِ السُّورِيَّةِ مِنْ لِبَنَانَ.

بِيَدِ أَنْهُذِ الْمَحَاوِلَاتِ جَمِيعًا بَاءَتِ بِالْفَشْلِ وَفِي الْعَرَاقِ وَلِبَنَانَ وَفِلَسْطِينِ. وَيَرْجُعُ ذَلِكُ إِلَى أَنَّ النَّظَامَ فِي سُورِيَا مَا كَانَ مَسْتَبِعًا (وَلَا يَزَالُ إِلَيْرَانَ)؛ بَلْ كَانَ أَيْضًا فَاعِلًا وَمُسْتَفِيدًا مِنْ هَذِهِ الْإِنْقَسَامَاتِ وَالاضْطَرَابَاتِ. فَقَدْ أَفْشَلَ عَلَنَا الْمَصَالِحةُ الْفَلَسْطِينِيَّةُ، وَأَفْشَلَ عَلَنَا – بِالاشْتِراكِ مَعَ حَزْبِ اللَّهِ – الْمَصَالِحةَ بِلِبَنَانَ، كَمَا تَلَاعَبَ بِأَمْنِ الْعَرَاقِ وَوَحْدَتْهُ تَارِيَّةً بِالْتَّنْسِيقِ مَعِ إِرَانَ، وَطَوَّرَا مَنْ دَوَنَ تَنْسِيقَهُ مَعَ أَحَدٍ! وَمَا نَجَحَ الْأَمِيرُ سَعُودُ الْفَيْصَلُ وَالْعَرَبُ إِلَّا فِي إِنْشَاءِ لَجْنَةِ الْمَتَابِعَةِ لِلْقَضِيَّةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ، لِأَنَّ السُّلْطَةَ الْفَلَسْطِينِيَّةَ لَا تَخْضُعُ لِلْاِسْتِقْطَابِ الْمُفْرُوضِ مِنْ إِرَانَ وَالنَّظَامِ السُّورِيِّ، وَلَذِكَّ كَانَتْ صَرْخَةُ الْأَمِيرِ الْفَيْصَلِ فِي مَؤْتَمِرِ سَرْتِ، وَخُروِجُهُ بِمَصْطَلِحِ «الْخَوَاءِ الْاسْتَرَاتِيجِيِّ» عَامِ 2010م.

نَعَمْ، كَانَ لَا بدَّ مِنَ التَّغْيِيرِ بِالْدَّاخِلِ الْعَرَبِيِّ، وَبِالْدَّاخِلِ السُّورِيِّ عَلَى الْخَصْوصِ، إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ اسْتِعَاْدَةَ اسْتِقْلَالِيَّةِ الْقَرَارِ الْعَرَبِيِّ وَوَحْدَتِهِ، مَا دَامَ النَّظَامُ السُّورِيُّ جَزءًا مِنْ مَحْورٍ يَسْعِيُ لِلْهُدُرِ وَالْإِضَاعَةِ وَالْإِنْقَسَامِ، وَيَسْعِيُ لِلْإِفَادَةِ مِنْ هَذِهِ الشَّرِّ الْمُتَصَاعِدِ، وَمِسَاوِيَةِ الْوَلَيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَالْأَطْرَافِ الْأُخْرَى عَلَيْهِ؟!

وَحَدَّ التَّغْيِيرُ الْعَرَبِيِّ الدَّاخِلِيِّ ابْتِدَاءً بِتُونِسَ، وَوَصُولًا إِلَى مَصْرَ وَلِيَبِيَا وَالْيَمَنَ، وَبِلْغِ ذَرْوَتِهِ فِي سُورِيَا الْعَرَبِيَّةِ. وَقَبْلِ ثَمَانِيَّةِ أَشْهُرٍ سَمِعَتْ مِنَ الْأَمِيرِ سَعُودِ الْفَيْصَلِ تَعْبِيرًا «الْمَلاَءَةِ الْاسْتَرَاتِيجِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ». فَقَدْ انسَحَبَ الْأَمِيرِكِيُّونَ مِنْ الْعَرَاقِ، وَسَارَعَ الْإِيْرَانِيُّونَ لِمَحَاوِلَةِ الْحَلُولِ مَحْلَهُمْ لِيُسَّرِّ الْعَرَاقَ وَحْسَبٌ؛ بَلْ وَيَسَّأَرُ الْمَنْطَقَةَ عَنْ طَرِيقِ تَثْبِيتِ مَنَاطِقِ النَّفْوذِ (الْاِسْتِبْلَاءِ عَلَى الْحُكْمَةِ بِلِبَنَانَ مَثَلًا)، وَعَنْ طَرِيقِ نَشْرِ الاضْطَرَابِ فِي مَنَاطِقِ جَدِيدَةٍ تَارِيَّةً بِحَجَّةِ مَصَارِعَةِ الْوَلَيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ، وَطَوَّرَا بِحَجَّةِ الدُّخُولِ فِي الْتَّحْرِيرِ الْعَرَبِيِّ وَشَعَارِهِ! وَلَذَا إِنْ حَرَّكَاتِ التَّغْيِيرِ الْعَرَبِيِّ شَكَلَتْ مُتَغَيِّرًا اسْتَرَاتِيجِيًّا مَهْمًا وَلَجَهَتِينِ: الْاِسْتِبَالُ بِالْحَرِيَّاتِ الْأَمِيرِكِيَّةِ الْمُزَعَّوَةِ حَرِيَّاتِ عَرَبِيَّةِ حَقِيقَيَّةِ، وَالْحِيلَوَلَةُ دُونَ اسْتِبَابِ مَنَاطِقِ النَّفْوذِ إِلَيْرَانَ أَوْ لِغَيْرِهَا فِي مَشَارِقِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَمَفَارِبِهِ.

مَهْدُ السُّورِيَّيِّوْنَ وَرَفَاقَهُمْ فِي الْخَلْجِ مِنْذَ الشَّهُورِ الْأَوَّلِيِّ لِلْتَّحْرِيرِ الْأَمْرِيَّيِّ: تَأْمِينُ الْخَلْجِ وَالْجَزِيرَةِ مِنْ خَلَالِ التَّدْخُلِ فِي الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَنَ، وَالْاِنْصَارَفِ – عَلَى وَقْعِ التَّحْرِيرِ – لِاسْتِعَاْدَةِ الْمَلَفَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْوَاقِعَةِ لِنَحْوِ الْعَدَ وَنَصْفِ الْعَدَ ضَحْيَةِ الْاِسْتِقْطَابِ، وَتَبَعِيَّةِ الْأَنْظَمَةِ الْاِسْتِبَداَدِيَّةِ وَتَأْمِرَهَا عَلَى الْمَصَالِحةِ الْوَطَنِيَّةِ وَالْقَومِيَّةِ.

وَهَذَا فَقَدْ تَدَخَّلُوا فِي لِيَبِيَا لِنَصْرَةِ التَّغْيِيرِ، وَاتَّصَلَ الْمَلِكُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزَ بِالْرَّئِيسِ السُّورِيِّ ثَلَاثَ مَرَاتٍ خَلَالِ الشَّهُورِ الْأَوَّلِيِّ لِإِقناعِهِ بِوَقْفِ الْعَنْفِ ضَدِّ شَعْبِهِ، وَالسِّيرِ فِي تَغْيِيرِ سَلْمِيِّ عَلَى وَقْعِ الْاِحْتِجاَجَاتِ السَّلَمِيَّةِ. وَعَنْدَمَا لَمْ يَجِدْ ذَلِكَ نَفْعًا،

تدخلوا عن طريق الجامعة العربية وطرحوا المبادرة العربية للتغيير السلمي التدريجي. وعندما رفض النظام السوري المبادرة وأفشل مهمة بعثة المراقبين، دفع الأمير الفيصل باتجاه مجلس الأمن والتدخل الدولي. وعندما وقف الروس والصينيون – إلى جانب الإيرانيين – لحماية النظام السوري كان مؤتمر أصدقاء سوريا بتونس؛ وذلك من أجل إيجاد آلية دولية بديلة ما دام مجلس الأمن عاجزاً عن التصرف.

وقد تجاوب السعوديون والخليجيون مع طروحات أخرى صينية وروسية، ومع مبعوث الأمم المتحدة والجامعة العربية كوفي أناan. لكنهم ومنذ مؤتمر «أصدقاء سوريا» بتونس، بل منذ اجتماع الجامعة العربية ما قبل الأخير بالقاهرة، اتجهوا للتعاون مع المجلس الوطني السوري باعتباره الممثل الشرعي للشعب السوري وحركته التغييرية. ومن هنا كانت دعوة الأمير الفيصل لدعم الجيش السوري الحر بالسلاح، للدفاع عن الشعب السوري وثورته في وجه كتائب النظام هناك، والدعم الإيراني والروسي.

الأمير سعود الفيصل الذي استعاد العَلَم العربي، بحسب النائب نهاد المشنوق، صاحب مقوله «الخواء الاستراتيجي»، هو أيضاً صاحب مقوله «الملاعة الإستراتيجية»، التي تصنّعها لصون الأمة ومصالحها حركات التغيير، وتصنّعها على الخصوص ثورة الشعب السوري.

المصدر: الشرق الأوسط

المصادر: